



الجمعة 20 أغسطس 2021 04:55 م

إن الدين المعاملة، ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ترك لنا النموذج الأمثل والمثل الأعلى في هذا الأمر، وخاصة في تعامله مع أهله الذين هم في الدائرة الأولى من معاملاته .

والذي يقرأ في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - يجد عجباً من حسن تعامله، وجمال أسلوبه مع كافة طبقات المجتمع على سبيل العموم، ومع أهل بيته على سبيل الخصوص، ويكفي مصداقاً لذلك ثناء ربه عليه بقوله: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) وتقول عائشة- رضي الله عنها:- ((إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ الْقُرْآنَ)).

ولعلي أعرض لكم نماذج من معاملة النبي- صلى الله عليه وسلم - مع أهله، من خلال المطالب التالية:
تعامله - صلى الله عليه وسلم - مع زوجاته:

لقد كانت حياته- صلى الله عليه وسلم - في بيته وبين نسائه المثلى الأعلى في المودة، والموادعة، وترك الكلفة، وبذل المعونة، واجتناب هجر الكلام ومره، وهو الذي يقول: ((حَيْرُكُمْ حَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا حَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)).

ومن خلال النصوص الشرعية يمكن أن نستقري ما كان يفعله - صلى الله عليه وسلم - في بيته مع زوجاته:

عن الأسود قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ - رضي الله عنها :- ((مَا كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)).

عن عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ أَنَّهَا سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: ((كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخِصِفُ تَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ)).

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: ((كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أَتَاوَلُهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَيَصَّغُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِي فَيْشَرَبُ، وَأَتَعَرِّقُ الْعَرَقَ - وهو العظم الذي عليه اللحم - وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أَتَاوَلُهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَيَصَّغُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِي)).

وكان - صلى الله عليه وسلم - من التبسط ورفع الكلفة إلى حدٍّ أن يستبق هو وامراته كما جاء عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْذُنْ، فَقَالَ: ((لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا)) فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ لِي: ((تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ))، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَبَقْتُ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَتَسَبَّيْتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: (تَقَدَّمُوا) فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: (تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ) فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتَنِي، فَجَعَلَ يَصْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: (هَذِهِ بَيْنَكَ).

بل أحياناً ترفع عائشة - رضي الله عنها - صوتها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا أَتَرْفَعِينَ صَوْتِكَ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، جَعَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: ((أَلَا تَرَيْنِ أَنِّي قَدْ خُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنِكَ؟)).

قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ بُصَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَدِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكَمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَايَ فِي حَرِيكَمَا)).

وقال أنس - رضي الله عنه - في حديثه عن صفية - رضي الله عنها -: ((قَرَأْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَصْنَعُ زَكْبَةً وَتَصْنَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى زَكْبَتِهِ حَتَّى تَرَكَبَ))
تعامله - صلى الله عليه وسلم - مع بناته:

فقد كان قمة في الروعة والجمال، لقد كان - صلى الله عليه وسلم - يرحب بهن، تقول عائشة - رضي الله عنها -:
أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:
((مَرَحَبًا يَا بِنْتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنِ يَمِينِهِ أَوْ عَنِ شِمَالِهِ)).

وما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا زوج البنت يتخلى عنها، بل كان يتعهدا بالنصح والإرشاد، والتذكير والزيارة، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - اسْتَنَكَتَ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُتِيَ بِسَبِيٍّ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِغَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَتْ ذَلِكَ غَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَصَاحِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنُقُومَ، فَقَالَ: ((عَلَى مَكَائِكَمَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: أَلَا أَدْلُكُمَا عَلَى خَيْرٍ، وَمِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَصَاحِعَكُمَا فَكَبَّرَا اللَّهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ)).

وكان - صلى الله عليه وسلم - يحرص على ملاطفة أرواح بناته والصلح بينهما إذا حصل خلاف، فما كان يترك بناته وكأن حملاً ثقيلاً قد زال عنه، فيتركها لزوجها دون منابعة أو مناصحة أو ملاطفة للزوج، حتى يحسن معاملته ابنته، فمثلاً حصل ذات مرة خلاف بين فاطمة - رضي الله عنها - وعلي بن أبي طالب، فجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسأل عن علي فقالت فاطمة: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَعَاصَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لِإِنْسَانٍ. انظُرْ أَبْنَ هُوَ؟ فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَافِئًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنِ شِقْوِهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: فُمُّ أَبَا تُرَابٍ، فُمُّ أَبَا تُرَابٍ)).

انظر إلى ملاطفة النبي - صلى الله عليه وسلم - لزوج ابنته من أجل كسب وده وملاطفته، فهل يفعل الآباء ذلك مع أزواج بناتهم!!

بل كان - صلى الله عليه وسلم - يغضب إذا أوديت أو تعرض لها أحد بسوء، كما جاء في صحيح البخاري أَنَّ الْمَسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَعْصِبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيُّ تَاكِبُ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَمِعْتُهُ جِبِينَ تَشْهَدُ يَقُولُ: ((أَمَّا بَعْدُ: أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَّقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَصَعَتْ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَشُوَّهَا وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ، وَاجِدِي، فَتَرَكَ عَلِيُّ الْجِطْبَةَ)).

هكذا كان - صلى الله عليه وسلم - يتعامل مع بناته، فأبن نحن من هذه الأخلاق الكريمة؟ والصفات الحميدة.

معاملته - صلى الله عليه وسلم - مع أخته :

جاء في كتب السير أن أخته - صلى الله عليه وسلم - جاءت، وقد ابتعدت عنه ما يقارب أربعين سنة، وهي لا تعرفه وهو لا يعرفها، فقد مرت سنوات، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاعة وهو تحت سدره، والناس بسببوفهم بين يديه وهو يوزع الغنائم، فتستأذن فيقول لها الصحابة: من أنت؟ فتقول: أنا أخت الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث، أرضعتني أنا وإياه حليلة السعدية.

فيخبرون الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتترفرق الدموع في عينيه، ويقوم لها ليلقاها في الطريق، ويعانقها عنق الأخت بعد طول المدة، ويُعد الوحشة والغربة، ويُجلسها مكانه وبظللها من الشمس .

تصوروا رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزرع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز من الشمس وهي أخته من الرضاعة!! فأين الذين قطعوا أخواتهم وعماتهم وخالاتهم، بل حتى الميراث الذي أحله الله لهم حرموه عليهن!!

فيسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخته عن أحوالهم ثم يقول لها: اختاري الحياة عندي محبة مكرمة أو تريدن أهلك؟ فتقول: أريد أهلي، فيعطيها المال ليعلم الناس صلة الأرحام.

وكل ما سبق غيض من فيض في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في تعاملاته مع أهله فيجب علينا التأسي والافتداء والقيام بما كان يقوم به من الملاطفة ولين الجانب والتفقد والسؤال عن الأحوال ولو بالاتصال ، التواضع وحسن العشرة والوفاء والمودة والألفة وترك الكلفة وبذل المعونة كل ذلك وأكثر يجب أن يتحلى به المسلم .

